6

الفاجومى

السفر إلى الزقازيق

- قعدونى من الكتاب عشان أشتغل «تمللى».
- عشر سنين وأنا واحد من غلمان ملجأ الأيتام بالزقازيق وكنت عامل راسى براس عبد الحليم حافظ.
- عدت لعزبة أبو نجم واشتغلت كلاف للبهائم.
- أول مقابله بينى وبين القاهره.. أخدنى ليها أخويا محمد ثم طردني منها بعد ما تسببت له فى مشكله أدت إلى طرده من السكن.

■ ■ ■

obeikandl.com

obeikan.com

بعـد مـوت أبويا المفـاجئ.. طعم الحـيـاه مـرّ ولونهـا بهت.. والأحـلام الورديه اصـفـرت واسودت الدنـيا فى عين الـست أم عبـد العـزيز وشـالت الحـمل بدرى.. وسبحان المعين.

كان المفروض إن محمد أخويا يمشى فى التعليم العام ويتخرج من الجامعه عشان يعوض فـشل عبد العزيـز فى الدراسه وموت مديحـه - العروسه.. بينمـا كان طريق العبـد لله حيبـدأ من كُتّـاب الشيخ أبو عيطـه وينتهى بعالميـة الأزهر الشريف والعِـمّه ولقب العالم الجليل لشخصى الضعيف.

ومات أبويا ومـحمد فى سنه تانيه إبتـدائى فى مدرسة أبو حمـاد وأنا فى الكُتاب وكان المنطقى إن محمد أخويا يسيب الدراسه أم مصاريف وأستمر أنا فى الكُتاب أبو كيله شعير.. لو المسأله مسأله فلوس يعني. أما بقا لو الحكايه رهان على الحصان سبق فأنا لها و لا فخر.

أولاً: تدهور العـلاقـات والنزاع المسلح اللـى كان ناشـب بينى وبين الشـيخ أبو عيطه ماكـانش سببه غـبائى ولا تخلفى فى الحفظ.. دنا كنت بامسـح عشر ألواح فى اليوم بينـما أجعص عـيل كان بيمـسح تلات ألواح.. المسأله إن فـيه عـدم استلطاف متبادل بينى وبين سـيدنا لسبب جنونه وشطحاته اللى مالهاش أى مبـرر.. وأنا متأكد إنه بدون الشطحات دى ونوبات الاستظراف اللى كانت بتلبس جتته كان ممكن نبقى مع بعض زى السمنه ع العسل.

ثانيًا: محمد أخويا كان مدبلر سنه أولى ابتدائى وعلى وشك الدبلره فى سنه تانيه بإذن واحـد أحد.. لكن اللـى حصل إنهم قـعـدونى من الكُتاب عـشـان أشتـغل فى الغيطان تمللى وكان رأى أمى فى المسأله دى إن محمد ما يقدرش على شغل الفلاحه والبهدله.. لأنه كان وشه أحمر وعنيه زرق وشعره أصفر!

وكانت صفيه أختى اللى هى أكبر من محمد بتساعـد عبد العزيز والشوادفى ابن أبويا إبراهيم وأمى زوبه فى شغل الغيط.

اندمجت فى حياتى الجديده وبسرعه بقيت جزء من الألعاب اللى بيمارسها الأنفار فى أوقات العمل والراحه.. عشقت غنا البنات والولاد واحنا بنشتغل وعشقت لعب السيجه وخط الله معيد معيد وحراميه الدور والمكحوش وحميت بوشه وتلابطنى وصيد السمك من الترع والرشاشيح وحلقات الذكر بالليل والفكه والطاقيه فى اللعب اللى كنا بنلعبها فى ليالى القمر.

الحاجات البسيطه دى كانت هى اللى خلقت علاقه العشق بينى وبين المكان اللى هو عزبه أبو نجم أدفا حضن ضمنى وملاعب الصبا وموطن القلب والروح وبهجة النظر أوقات كنت باقول بينى وبين نفسى:

- الحمد لله إن أبويا مات وماكملتش فى الكُتاب وسافرت مصر أدرس فى الأزهر.. ماكنتش قادر على مجرد تصور بعدى عن عزبة أبو نجم.. حتى مولد أبو مسلم اللى كانوا العيال يستعدوا له ويحوشوا له طول السنه.. عمرى مارحته.

كنت خايف أروح المولد ما ارجعش!

كنت عاشق بجنون لكل شىء فى عزبتنا.. إلى أن كان ذات يوم جمعه.. تاريخ ما اعرفشى كام سمعت أمى وهى بتقول بصوت باسم:

- اسم الله ياخويا.. يا مرحبًا يا حلة البركه.

شويه ودخل خالى حسين أبو سماحه.. ابن عم أمى وابن عم أبويا اللى كان بيزورنا فى بيت الزقايق ويسهر عندنا ويلاعب أبويا طاوله وكان أبويا بيغلبه دايمًا.. المره الوحيده اللى هو غلب فيها حصلت لى كارثه.

- أنا كنت قاعد جنبه وهو بيلعب ويظهر إنه اتفاءل بوشى راح مدينى قرش صاغ مخروم حطيته تحت لمخده ونمت.. وصبحت الصبح أدور ع القرش صاغ؟.. أبدًا.. وصرخت صرخه أثارت الفزع فى البيت وجت أمى جرى من أوضتها وحاولت مديحه أختى تاخدنى فى حضنها رحت عاضضها فى دراعها صرخت ورمتنى فى الأرض وأخيرًا اكتشفنا إن محمد أخويا هو اللى سرق القرش صاغ بشهادة صفيه أختى وقام بدرى.. ودى مش عوايده.. ونزل ع المدرسه وكانت المدرسه فى آخر

الشارع.

ونزلت لك زى المجنون وفضلت أجرى لغايه ما وصلت المدرسه لقيت بوابتها الحديد الكبيره مفتوحه دخلت لقيت التلاميذ واقفين طابور ومعاهم المدرسين والناظر وبيقولوا نشيد الصباح:

حفظ الله الملك

ورعى الله علاه

ربنا والفضل لك

احمه وانصر حماه

أنا عجبنى الغنا وقفت أغنى معاهم وأبص ع الناظر.. كان راجل قصير ورجليه مفرشحه وكان اسمه الأستاذ عبد العزيز القط وأول ما خلص النشيد رحت جارى ع الناظر وداخل بين رجليه وجايبه بسنانى من لبلوب وركه وحطيت غلّى من عملة محمد أخويا ورحت غارز سنانى فى لحمه.. الراجل صرخ بعزم مافيه:

- يالهوتى يامه.. حوشونى يا ناس.. الحقونى يا مسلمين.

وفوجئت بريحه بشعه خارجه من مؤخرته رحت سايبه راح واقع على الأرض مسورق وقلت له:

- إف.. جتك القرف إنت مفسى؟

الأول المدرسين قعدوا يضحكوا وبعدين اتكاتروا علىّ ومسكونى ولما عرفوا الحكايه حبسونى أنا ومحمد أخويا فى المراحيض لغاية ما جه أبويا استلمنا وما بطلش ضحك من لحظه ما خرجنا من باب المدرسه وراح حكى لأمى واخواتى وهو بيضحك وادانى شلن وقعدوا يضحكوا طول النهار.

●●●

المهم.. دخل خالى حسين وبعد السلامات ودعوات أمى له بطولة العمر وشرب

القهوه.. بدأ الكلام بينهم يبقى وشوشه وبدأوا يبصـولى بإشفاق ويبتسموا لى بشكل ما يطمنش وفجأه ارتفع صوت خالى حسين بيقول لأمى:

– خبـر إيه يام عبده ياختـى.. وحدى الله أمَّال.. ابنـك فى حبة عـينى من جوا هو فؤاد مش أخو عفاف؟

بصيت علـى أمى لقيت وشهـا غرقان دمـوع مع إنها مـاكانتش بتعـيط.. لكن إيه رأيك بقى عمرى ما شفت وشها بالجمال ده؟

وقامت أمـى وخدتنى فى حضـنها ودخلت أوضتـها وقلعـتنى هدومى ولبسـتنى جلابيـه العيـد اللى فات والصندل اللى كـان أبزيم فردته الشـمال مقـطوع وضايع.. وقعدت تبص لى من فوق لتحت وباستنى وقالت لى:

– اسم النبى حارسك وضامنك.. زى القمر!

وخدتنى فى حـضنها وضـمتنى بشـده وفضلت تبكى من غيـر صوت ومـسحت دموعها وخـرجنا من الأوضه لقينا خالى حسين واقف وأول ما شـافنى ضحك وقال لى:

– اسم الله على عريس بنتى اسم الله.

راحت أمى واخداتى فى حضنها وقالت لخالى حسين:

– يا زين ما أخدت لبنتك يابو عفاف.

وملست على شعرى بحنان وقالت:

– دا هو الراجل اللى فى ولادى.

وقالت لى:

– إنت حتسافر مع خالك حسين على مدرسة الزقازيق وفى المسامحه حتيجى فى حضن أمك هنا.

وسحبنى خالى حسين من إيدى وخرجنا عشان أسافر لأول مره وأسيب عزبة أبو

نجم لوحدى.. ما اعرفش إيه جـرالى ساعتها.. مشيـت جنب خالى حسين ساكت لا أنا فرحان ولا حـزين.. لا أنا موافق و لا رافض.. زى الدبيحه الـلى رايحه المجزره.. لحد مـا وصلنا فم ترعه الملاك وقـابلتنا نسمه العـصارى شايلـه صوت العيـال بيغنوا وهما بيشتغلوا فى غيط المدور:

أوحه بقره حاحا

أوحه النطاحه

أوحه حلبت شخبين

أوحه والباقى فين

أوحه شربه الراعى

أوحه والراعى فين

أوحه حدا ابن عمه

أوحه دا وابن عمه

أوحه ما سيَّل دمه

أوحه يا دم الشوم

أوحه عدى الفيوم

أوحه فيومه خضرا

أوحه ماعدت طنطا

أوحه طنطا شراقى

أوحه فيها وز عراقى

أوحه ناكل وندبح

أوحه نرمى العضام

obeikan.com

أوحه فى سوق شاهين

أوحه شاهين ما مات

أوحه خلف بنات

أوحه وبناته تسعه

أوحه إتجيبهم لسعه

واحده منهم راحت تملا

رجعت حبلى

قابلها إبن السلطان

قرصه التعبان فى كحكوحه

طلع روحه

يا عم ياللى قاعد ع الحيط

إنت حللى ولا ضيف

أنا ضيف ومعايا سيف

باطير روس الظالمين

الظالمين الظالمين

ما قدرتش أمسك نفسى وأنا سامع العيال بيغنوا من غيرى ورحت معيط وقايل:

- آه يا حبيبتى يامه.

لقيت خالى خدنى فى حضنه وفضل يطبطب علىَّ وهو بيقول:

- خبر إيه يا هايف.. دانت حتروح المدرسه.. وتطلع أفندى زى أبوك عزت وخالك حسين.. وح أجوزك عفاف بنت خالك.

يوم السبت خدنى خالى حسين الصبح وركبنا عربيه حنطور وصلنا للمدرسه ودخلنا أوضه الناظر راجل قصير وتخين فكرنى بالأستاذ عبد العزيز القط.. وبعد ما

خالـى حسين شـرب القهـوه مع الناظر سابنى وخـرج.. وخدونى طلعـونى ع الدور التانى قلعـونى هدومى ولبسـونى بنطلون شورت وقمـيص كاكى.. وحـجزونى فى الدور التـانى لحين بلوغى الـسن القـانونى اللى يسـمح لى بنزول فـصـول الدراسـه والورش:

– كانت المـدرسه دى هى ملجـأ الأيتام بالزقازيـق اللى بناه المحسن الكبـير عـبد اللطيف بك حـسنين وهبـه اللى كان تمثـاله النصفـى محطوط على قـاعده رخـام فى وسط الجنينه اللى فى حوش الملجأ.

من سنه ١٩٣٦ إلى سنه ١٩٤٥ وأنا واحد من غلمان ملجـأ الأيتام بالزقازيق المِيَّه وخمسين.. عنبر ألف ستين غلام وعنبر ب ستين غلام وعنبر جـ تلاتين غلام.

أول ليله قضـيتها فى الملجـأ كانت على سرير نمره واحد فى عنبـر ألف وآخر ليله قضيتها كانت على سرير ١٤٩ فى عنبر جـ.

يعنى فى خلال عشر سنين جبتهـا من شرقها لمغربها فى التلات عنابر وفى الورش بدأت بورشه الأحذيه وحققت فيها فشل باهر وخرجت منها مذمومًا مدحوراً بعد ما ضربنى أحمد أفندى سعيد مدرس الورشـه بقالب جزم خشب مقاس ٤٤ فى دماغى وأنا قاعد نايم جنبه.. أنا صحيت على ألم رهيب فى دماغى وسمعته بيقول:

– قوم.. إنت حتشخ جنبى.

بعد كده رحت ورشه الترزيه اللى مدرسهـا محمد أفندى الليثى أبو كرش ضخم وفضلت فـيها لغـايه ما اتخرجت من المـلجأ وأنا مش فاهم طظ من سـبحان الله غـير جملته اللى كان دايمًا يقولها لى كل ما أستأذن منه أروح المراحيض.. يقول لى:

– شخ وأغسل وشك.. «ويروح ضاحك».

حاجتين كان نفسى أعملهم فى الملجأ لكن كل الظروف اتجمعت وشكلت حاجز منعنى من إنى أعملهم.

الحاجه الأولى.. إنى أشترك فى فرقه الموسيقى النحـاسيه اللى كان بيقودها محمد أفندى ندا.

نجم أمام بوابة ملجأ الأيتام بالزقازيق عند زيارته للملجأ عام ١٩٩٠

الحاجه التانيه.. إنى أشترك فى فرقه الموسيقى الوتريه اللى كان بيقودها عازف الكمان الموهوب محمود أفندى حنفى.

يمكن محاولات كلها كانت على استحياء.. بس هو دا أنا دايمًا.

وانقضـوا العشـر سنوات العجـاف وماقـدرتش أحقق حـاجه من الحـاجتين دول صحـيح كان عندى إحـساس بالظلم وسـوء الحظ.. لكن أمى علمتنى من ضـمن ما علمتنى إن الخيره دايمًا فيما اختاره الله.. والحقيقه إن الاعتقاد ده مريح!

عشر سنوات كـانت مزدحمه بالأحداث العـامه.. على المستوى المحلى استـفتحنا بموت الملك فواد وتنكيس العلم الأخضـر أبو هلال وتلات نجوم وبعدين تتويج الملك فـاروق ملك على مـصـر والسـودان وبلاد الـنوبه وكـردفـان ورفع الأعـلام ونصب الزينات والاستبشار بعهد كله رخاء وخـير وبركه ومات الملك عاش الملك.. وتعليقًا على كده أدلى الأسطى محمد الليثى بدلوه فقال:

- اللى مات كلب واللى جـاى كلب ابن كلب.. إنما بقى تقول إيه.. دى بلد اللى يجوز أمى أقول له ياعمى.

لكن الشيخ إبراهيم الدسوقى الـلى كان متعين مدرس عربى فى الملجـأ ومانفعش فعـينوه ظابط التـعيين فى المطبخ اتهـم الاسطى محـمد الليـثى رئيس الترزيه بالكـفر والإلحاد وقال له:

- دى أفكار ثورجيه وإحنا لازم نطيع الله والرسول وأولى الأمر منا.

ورد عليه محمد الليثى بتهكم:

- والنبى تخليك إنت فى العدس والبصل يا شيخ إبراهيم.. يامصنن.

وضحك كل من فـى ورشه الترزيه سـواء الغلمان أو الصنايعـيه اللى كـان الملجأ بيشغلهم بالأجر أحيانًا وقال الأسطى ميخائيل أبو قتب:

- أتارينى كل ماباشوف عم الشيخ إبراهيم باعطس.

وثار الشـيخ إبراهيم الـدسوقى واتـهم الأسطى مـحـمـد الليـثى بأنه مـوسكوفى وبيـحوى البلشـفيك فى ورشـه الترزيه وفـوجئنا بمحـمد أفندى الليـثى راح هاجم ع الشـيخ إبراهيم الدسـوقى وضـربه بالمقص فى رقـبتـه راح الشـيخ إبراهيم واقع فى الأرض وشالوه ع الـعياده عنـد التمرجى مـحمـود المدنى اللى كبس لـه الجرح تراب

وربطهوله بكم قميص قديم بحجه إن ما عندوش مرهم ولا شاش لأنه ما استلمش العهده.. لكن عبد الحليم أفندى شهوان مدرس الحساب اعتبر إن دى إهانه لكل المدرسين وضرب محمود المدنى بالركبه فى محاشمه واتهمه بتبديد العهده وعملوا له تحقيق وشهد عليه عطيه أفندى المخزنجى وانتهى التحقيق بأنهم نقلوا محمود المدنى المطبخ عند الشيخ إبراهيم الدسوقى وعينوا بداله محمد ناصر مساعد الأسطى محمد الطباخ تمرجى!

من الأحداث العالميه فى عشر سنين الملجأ قيام وانتهاء الحرب العالميه التانيه وعلى فكره أنا كنت باشجع هتلر وكنت متبنى قضيته بحماس جنونى.. مش عارف ليه لغايه دلوقتى!.. الحاجه اللى عارفها إنى كنت باتمنى إنه ينسل لحم لنجليز زى ما اتمنيت إن الكلب هول ينسل لحم كلب كارنو.. لكن الخواجه هتلر خذلنى وسلم فى فبراير سنه ١٩٤٥ ولأن الملك فاروق كان مولود يوم ٢١ فبراير سنه ١٩٢٠.. نفس اليوم اللى اتولد فيه عبد العزيز أخويا.. انتهز الشاعر صالح جودت الفرصه وربط هزيمه هتلر بعيد ميلاد الملك فاروق وكتب غنوه غناها مطرب الملوك والأمراء الأستاذ محمد عبد الوهاب بتقول:

هل السلام فى مواعيدك

زاهر وجميل

بشر الدنيا بعيدك

ياحبيب النيل

وهى أعيادك بمعاد

دى كل أيامك أعياد

وهكذا شهدت العشر سنوات العجاف صعود وسقوط الرايخ التالت فى ألمانيا الهتلريه.

ومن الأحداث اللى باعتبرها شخصيه فى العشر سنوات إياهم تشريف محمد أخويا للملجأ بعد ما عجزت أمى عن مواصلة دفع مصاريف مدرسة أبو حماد

الابتدائيه ومن الصدف العجيبه إن محمد أخويا وصل الملجأ فى نفس اليوم اللى وصل فيه الغلام عبد الحليم على إسماعيل شبانه من قرية الحلوات مركز ههيا شرقيه واللى بقى بعد كده اسمه عبد الحليم حافظ أهم وأذكى مطرب عربى ظهر فى العصر الحديث بعد عبد الوهاب واللى قدر هو ومجموعه من الفنانين الشبان سمير محجوب ومحمد الموجى وصلاح چاهين وكمال الطويل يخلقوا مدرسه جديده فى الطرب العربى ويفرضوا لأنفسهم مكان على خريطة الموسيقى والغناء فى عصر دولهالمطربين وفى عز سطوة وجبروت الملكين أم كلثوم وعبد الوهاب!

ومن حماقـاتى إنى كنت عامل راسى براس عبد الحليم اللى كـان بيعزف على آله كلارنيت فى فـرقه الموسـيقى النحاسيه بقيـاده محمـد أفندى ندا.. كان يوم مـايبات محمود أفندى حنفى نوبتـشى يجيب الكمنجه ويجيب عبد الحليم وبعـد عده تقاسيم ساحـره يخلى عبد الحليم يغنى وبعـدين ييجى دورى أغنى.. كان عبـد الحليم صوته مزيج من صـوت أمى وصوت فيـروز كان بيقشـعر جسـمى وأنا باسمعـه وكان دايمًا يغنى حيـاتى إنت بتاعة عبـد الوهاب.. وأنا كنت أغنى مادام تحب بتنكر ليه بتـاعة أم كلثوم.

أنا طبعًا مازلت مندهش من جرأتى.. إزاى أغنى مع عبد الحليم؟!

نفس الدهشـه تنسحب على مـوقف محـمود أفندى حنفى اللـى كان بيعـزف لى بنفس الحـماس اللى بيـعـزف بيه لعـبد الحليم.. سـبـحان الله يرزق الهـاجع والناجع والنايم على بِتْ ودنه.

تفضل من أحداث سنين الملجأ.. الحادثه الأخيره اللى هى سقوط عصفور الكناريا الطروب عبـد الحليم شبانه من فوق المـلجأ وإصابته بعـدة كسور فى ضهـره ورجليه إضافه لكسور الركبتين اللى نتجت عن سقـوط باب فوقه وهو لسه طفل بيحبى بعيداً عن حضن الأم اللى مـاتت وهى بتولده بالبلهـارسيا - المرض الفـولكلورى للشعب المصـرى - لكن تشاء الأقـدار العـجيـبه أن ينجـو الفـتى النحيـل اليتـيم من كل هذه الحوادث ويخـرج من المستـشفى علـى مصر أم الدنـيا عشـان يعيش فى كـنف أخوه المطرب إسمـاعيل شـبانه اللى كـان بيشتـغل فى معـمل أدوية دوش ويلتحق بمعـهد الموسيقى العربيه ويتخرج منه عازف على آله الأُبوا وبعـدها وبالصدفه البحته يحترف الغناء تحت اسم عبد الحليم حافظ.

سنه ١٩٤٥ وكـأنك يابو زيت مـا غزيت.. رجـعت لحضـن عزبه أبو نجم بشـوق وفرحه مافكرتش فى العشر سنين اللى ضاعوا من عمرى أونطه فى ملجأ الزقازيق.. كنت مستـعد أشتغل أى حـاجه عشان مـا افارقش البلد.. وكانت فرحـة عمرى يوم

مـاجت عمـتى نظله أم إكـرام تطلب من أمى إنى أشـتـغل عندهم كـلاف للبهـايم.. ساعتـهـا شـفت الانكسار والهـزيمه فى عنين أمـى اللى فوجـئت بحـمـاسى للفكره وموافـقتى الفـوريه عليها.. كـان الاتفاق إنى أشـتغل كلاف بهـايم يعنى راعى.. فى البيت والغيط فى مقابل إنى آكل واشرب ويجيبولى جلابيه زفير فى الصيف وجلابيه كستور فى الشتا ويدوا لأمى خمسين قرش كل شهر! يابلاش.

وكانت أمـتع لحظات حيـاتى لما كنت أروح الصبح أطـلع البهايم من الـزريبه وأنا باغنى بصوت عالى وتصحى إكرام على صوتى وتيجى تصبح علىَّ.

أيضًا فى ليالى الخميس من أول كل شهـر لما كنا بنسهر مع حفله أم كلثوم وكانت دايمًا تقـدم فى الوصله الأولى أغنيه مـعروفـه وتخلى الأغنيه الجـديده للوصله التـانيه وكنت فى الاستراحه بين الوصله التـانيه والتالته أعيد لهم الأغنيه الجـديده بحذافيرها وكانت هى تيجى تقعد جنبى وأنا باغنى ودا كان كفايه علىَّ وأكتر من الكفايه كمان.

بدأت مواهبى تتفتـح وأنا على مشارف سن السبعتاشـر اتعلمت ألعب كره القدم من ولاد عـمى الطلبـه والموظفين أثناء وجـودهم فى العزبـه فى الأجازات.. وشـويه شويه أصبحت لاعب أساسى فى فريق العزبه وهداف الفريق!

فى المباريات اللى كنا بنقابل فيـها مجموعه من فرق داير الناحيـه وخصوصًا فريق كفـر أبو نجم اللى كانت المنافـسه على صـداره فرق داير الناحيـه بتنحصـر بيننا وبينه وكان أهـم لاعب فى فريق الكفـر هو عبـد الحليم أبو حمـد إبن عمى.. كـان لاعب موهوب جدًا فى كره القدم وكان بطل المدارس الثـانويه على مستوى القطر فى القفز بالزانه وكان لاعب بنج بنج موهوب وأنا مندهش إنه مـالمعش رياضيًا رغم إنه التحق بالكليه الحربيه واتخرج منها ضابط فى القوات المسلحه.

وفى لعبه – الباط – الـلى هى الچودو الفلاحى ماكانش فيه عـيل يجيبنى الأرض لا من جيلى ولا من الجيـل اللى أكبر.. غريب ابن أم تهامى هو فـقط اللى كان بيطلع مـعايا دايمًا – فـرش حـصيـر – يعنى تعـادل.. وبعد عـدة مـحاولات قـررنا أنا وهو مانلاعبش بعض تانى.

وفى صيدالسمك كانوا يستبشروا بوشى.. ويستغلوا قدرتى العضليه على نزح أكبر كميه من الميه بالجردل أو الصفيحه لتسهيل عمليه صيد السمك اللى بيبقى قوى جداً فى الميه علاوه على إنى كنت باستغل قوه أعصابى وعضلاتى فى القبض على السمك الكبير والخروج بيه خارج الميه.

وفى لعبه المكحوش كانوا يختاروا لى أضعف فريق وكنا دايمًا بنكسب رغم قوة أفراد الفريق المنافس.

وفى العمل كنت صوت الولاد فى أغانى العمل بعد ما حفظت كميه كبيره من الأغانى كنت بارد بيها على أغانى البنات اللى كانت زكيه أم عبد القادر أحلا صوت يغنيها.

بحر من السعاده كنت غرقان فيه لشوشتى فى عزبة أبو نجم.. حتى ضرب عبد العزيز أخويا القاسى كنت بانساه وباتحمله مادام مش حيبعدنى عن البلد.

لكن الفقر واستئثار عبد العزيز أخويا بكل شىء جعل استمرار الحياه فى عزبة أبو نجم مستحيل.. صفيه اتجوزت فى كفر أبو نجم.. ونجم كبر وبيشتغل فى غيط أبويا إبراهيم وعبد العزيز بيشتغل كاتب أنفار فى تفتيش الملك وأنا ماقدرتش أستمر فى خدمة أبويا سليم لندالته الشديده فى التعامل معايا فانتهت علاقتنا بالمشهد التالى:

عصريه يوم خميس صيفى وأنا واقف أمام بقالة أبو عبد الله لابس الجلابيه ع اللحم ولابس فى رجليَّا - كنجه سودا بتاعه مجدى ابن عمى - والجمهور واقف حواليَّا وكلهم بيترجونى أشد حيلى النهارده ويفهمونى إن الآمال كلها معقوده علىَّ وأنا بمنتهى الألاطه باوعدهم إننا حنكسب المباراه اللى كان فاضل على بدايتها حوالى نص ساعه ودى كانت أول مباراه ألعبها ضد فريق كفر أبو نجم الرهيب اللى كان عقدتنا على مدى التلات سنوات الأخيره وقال أبو عبد الله:

- نغلبهم مرَّه ياولاد.

- أنا متطمن مادام فؤاد حيلعب النهارده.

وأنا طاير فى السما وباحلم بالزفه اللى حنعملها بعد الماتش والعيال شايلينى على كتافهم وبيلفوا بيا العزبه وإذا بأبويا سليم جاى شاقق طريقه بين المشجعين وقايل لى:

– إنت واقف ليه؟.. إمشى اسقى البهايم.

بلعت الإهانه وقلت له:

– لسه ساقيهم.

قال لى:

– روح اسقيهم تانى.

قلت له:

– لا مش رايح.

قال لى:

طب اقلع الجلابيه اللى أنا لسه جايبهالك.

رحت مالخ الجلابيه وراميها فى وشه ووقفت عريان وبالكنجه والشراب المخطط.. راحوا العيال مسقفين وشالونى عريان على كتافهم وودونى الملعب لقيت فريقى وفريق الكفر فى انتظارى وأول ماشافونى انفجروا بالضحك وقال لهم غريب:

– هى دى الخطه الجديده اللى حنلاعبكم بيها ونغلبكو!

ورد عبد الحميد ابن عمى كابتن فريق الكفر وقال:

– أنا عندى شورت خد ألبسه.

قلت له:

– لأ.. أنا حلعب عريان.

قال لى:

– لا.. أنا خايف على روحى من الفتنه «وضحكنا».

ودى كانت نهايه علاقه العمل اللى بينى وبين أبويا سليم.

●●●

فى الفتـره دى كان محـمد أخويا اتخرج مـن الملجأ بعد ما اتـعلم العزف علي آله السكسفون فى فـرقه الموسيقى النحاسيـه واتعلم فى ورشه الطباعه وسافـر على مصر اشتغل فى مطبعه مصـر وفى أثناء إحدى زياراته للبلد أمى اشتكت له من سوء الحال ومن عدم وجـودى فى عمل دايم فقـرر إنه ياخدنى معاه مـصر أم الدنيا وعلى قـد ما كنت فرحان إنى ح اشوف الترماى وقصـر عابدين على قد ما كنت حزين على فراق البلد.

وفى أول مقابله بينى وبين القاهره حسيت بالخوف!

دوامه رهيـبه والناس جواها زى القش والتـراب جوًا فسيـة العفريت.. اشـتغلت ترزى عند الأسطى أبوسـريع فى التربيعـه.. كان متـجوز اتنين وبيأفين عـشان يلاحق عليهم وكان بيدينى خمسه تعريفه فى اليوم من تمانيه صباحًا لغاية اتناشر نص الليل.. سبته واشتغلت فى مصنع غزل عند واحد خواجه فى كلوت بيه وحرضت مظاهرات سنه ١٩٤٦.. وكنت أيامهـا بابيع ظروف وجوابات فى التـرماى واتعلمت أنط من ع الشـمال وأنزل وش دى كـانت فرصـه قدامى عـشان أشـارك فى المظاهرات وأنا فى منتهى السـعاده وكان مـيدان التحـرير اسمه مـيدان الإسـماعيليه وكـان فيه مـعسكر إنجليـزى مكان الجـامـعه العـربيـه وفندق هيلتـون.. كـانت المظاهره تبـدأ من الأزهر الشريف ندخل الأول نسمع الخطـب الوطنيه الملتهبه من القـسس والمشايخ.. وبعدين نخرج نقلب ترماى ١٩ بتاع شارع الأزهر وتنطلق فى اتجاه الـعتبه الخضراء ثم شارع عبـد العزيز ثم شارع السـاحه ثم شارع باب الـلوق ثم ميدان الإسـماعيليـه ونفضل نضرب لانجليـز بالطوب لغاية مـا يبدأوا همـا يضربونا بالرصاص فنطـلع نجرى على سراية عـابدين نشتم الملك والإنجليز والأحـزاب ونروح بعد ما نتـواعد على بكره فى نفس الميعاد والمكان.

– الصبح فى الأزهر.. جوا الجامع.. ماحدش يتأخر يا رجاله.

ومن الهتافات الظريفه التى علقت فى دماغى لوقتنا هذا:

– الجلاء بالدماء.. اليوم حرام فيـه العلم.. مصر والسودان لنا وإنجلترا إن أمكنا.. ساعدونا يا عساكر.. بائع الأوطان كافر.

دى كنا نقولهـا لما تشوف عسـاكر الدرجه التانيـه جايين بالخوذ والخـزران التخين والدروع.. يروح واحد قايل:

- أبو الليف وصل.

نروح قايلين على طول:

- ساعدونا يا عساكر.

والغريب فى الأمر إنهم أول ما كانوا يسمعوا الهتاف ده ماكانوش يهجموا.. ومره عسكرى سـقف لنا والظابط ضربه على قفـاه فقعـدنا نشتم فى الظابط لحد مـا مسك العسكرى باس على راسه وحضنه راحوا كل العساكر والمظاهره مسقفين.

ومن أطرف الحـاجات اللى شفـتهـا راجل صنايعى بيصلح بـوابير الجاز شـايلينه وماسك وابور لحام مولع وبيهتف واحنا وراه:

- يا الجلاء يا الحريقه.. يا الحريقه. يا الحريقه يا الجلاء.

كنا ساكـنين أنا ومحمـد أخويا فى عطفـه ندا فى الحسـينيه فى مطرح مـفروش ع السطح وفيه دوره ميـه مستقله وكانوا واخدين علينا قـايمه بمحتويات المطرح اللى هى سرير بواحد مرتبه وواحد مخده وواحـد لحاف وكنبه بلدى بواحد مرتبه واتنين مسند وواحد مـلايه وواحد وابور جـاز وواحد طشت غـسيل وواحـد زير بواحده حـماله وواحد قله بواحد غطا نحاس فى واحد صينيـه نحاس وواحد براد شاى صاج بواحد كبايه قـزاز ياسين م الأصلى وكان إيجار المطرح خـمستاشر قـرش تدفع بإيصال كل أول شهر وكـانت صاحبه البيت اسـمها أم مُلعب وكانت ساكنه مع بـنتها مُلعب فى الدور الأرضى وكانت هى مـرافقه المعلم عيـد بلاص صاحب القهـوه وبنتها مرافـقه بيومى الطرشجى وف ذات ليله قعدوا الأربعه سوى مع بعض وقاموا دوروا الضرب فى بعض وكنت أنا لوحـدى فى المطرح لأن محـمد كان بـايت بره وفوجئت بـخبط شـديد ع الباب قـمت أفتح لقـيت مُلعب عـريانه ملط أول ما فـتحت البـاب راحت زقانى وداخله وقالت لى:

- إحمينى لو كنت راجل.. إحمينى الله يستر عرضك.. ابن الكلب عايز يقتلنى.

وراحت طالعه ع السرير ومتغطيه باللحاف.. أنا الدم سخن فى دماغى وخدتنى نخوة الشراقوه.. وفوراً استحضرت سيره عنتر بن شداد وإزاى كان يحمى الحريم حبًا فى سواد عيون حبيبته عبله بنت مالك وتذكرت إكرام فزعقت بعلو صوتى:

- أنا.. أنا.. أنا.. أنا.

ولما مالقيتش كلام أقوله استلفت كلام من عنتر بن شداد فصرخت تانى:

- أنا الموت الأحمر.. أنا الأسد الغضنفر.. أنا المدعو بعنتر.

وباضرب بعينى لقيت الطرشجى واقف ع الباب ولابس فانله بس وماسك فى إيده رقبة قزازه وقال لى بصوت سكران:

- فين الوليه؟

قلت له:

- اتفضل يا عم بيومى.

ومن حسن حظه إنى كنت حاطط البراد ع الوابور قبل ما تطلع مُلعب عشان اشرب شاى وأبص ألاقى الميه بتغلى رحت جايب البراد من ع الوابور وزاعق بعلو صوتى:

- هل من مبارز؟ هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز.

ورحت ملبس البراد بالميه السخنه فى خلقته راح صارخ:

- عينى ضاعت.

ونزل ع السلم - يعوى زى الكلب اللى كل قالب طوب فى راس قلبه - وقبل ما استوعب اللى حصل سمعت ضحكه مُلعب أم ديل ولقيتها رفعت طرف اللحاف وقالت لى:

- تعالى.. تعالى هنا ف حضنى.. دانت عليك كلام ولا بتوع التياترو.

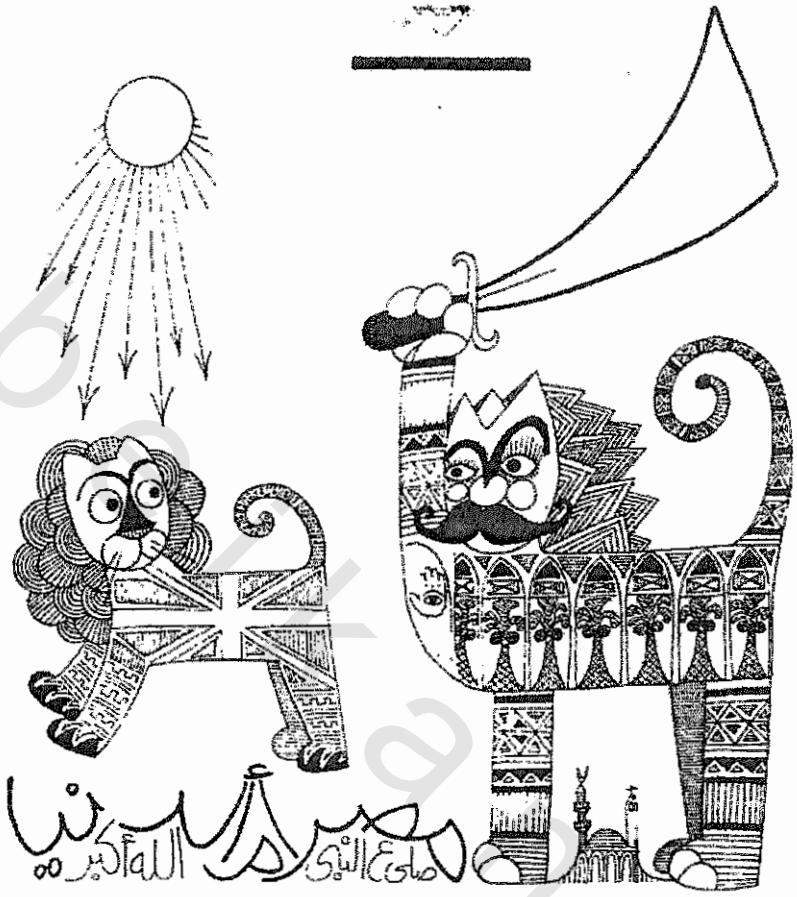

قلت لها:

- استنى بقى لما نشوف المصيبه دى حترسى على إيه.

ضحكت وقالت لى:

- إنت خايف يا أفلاحوكش؟.. مـا تخافش طول ما إنت ف حضنى.. دنا مُلعب والأجر على الله.. تعالى بقى وخليك راجل على طول.

ودى كانت أول تجربه فى حياتى.. بس يا خساره ما طولتش لأنه تانى يوم ومحمد أخويا راجع من الشغل اصطادوه عمال معمل الطرشى وجروه على جوا المعمل وفضلوا يضربوا فيه لحد ما خلوا بربوره دم وكسروا درج النقديه وشيلوهوله وزفوه لغايه نقطه الحسينيه وهناك عرض المعلم بيومى إنه يتنازل عن المحضر على شرط تعزّل من البيت.. وماكانش قدام محمد غير إنه يقبل وخرجوا من النقطه.. الحاج بيومى على معمله.. ومحمد أخويا ع البيت لقينى.. أول ما بص فى وشى قال لى:

- إنت لسه هنا يا نجس؟

أنا شفت منظره المشلف وعنيه اللى الشر بينط منها خدت السلالم أربعات وهو ورايا وكل ما إيده تطول حاجه يحدفنى بيها وفضل يطاردنى زى الكلب الجربان لغاية ميدان باب الشعريه ولما تعب وقف وقال لى بعلو صوته:

- على أمك يابن الكلب يا نجس.. وإياك تعتب هنا تانى.

أنا قلت فى عقل بالى:

- بركه يا جامع.. وملعون أبوكى يا مصر.. وأبو اللى عايز يرجع لك تانى.

واتجهت إلى شبرا البلد وأول ما رجلى طالت شط الترعه الإسماعيليه حسيت إنى طاير من الفرح.. طاير وباتمنى آخد الطريق فى خطوه واحده عشان أرجع للحِمَى تانى.. وحسيت بالانتصار على كل الظروف اللى بتحاول تبعدنى عن الحضن الدافى الحنين.. عزبة أبو نجم.. وطنى الحبيب الجميل.. ورجعت ماشى.

●●●

وقدرت أمى تجيب لى واسطه من أبويا عطيه أبو إبراهيم ريس الأنفار فى عريشة عشرين فى تفتيش الوادى اللى مساحته أربعه وعشرين ألف فدان ممتده من العباسه الكبيره حتى التل الكبير وكل المساحه دى بما عليها ومن عليها من زرع وضرع وبنى آدمين كانت ملك جلاله الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان وبلاد النوبه وكردفان!

وكانت عريشة عشرين تبعد عن عزبتنا سبعه كيلومتر كنت باقطعهم يوميًا رايح

جاى ماشى على رجليا!

أول يوم استلمت شغلى رحت العريشه كتبت اسمى وقالوا لى:

- روح على غيط الرزّع الرشاح الكبير وانزل مع الانفار نقى الرُّز.

مشيت على الرشاح الكبير فى اتجاه الأنفار ولما بقى بينى وبينهم حوالى خمسميت متر بدأت أسمع غناهم الجماعى وفجأه شفت بعينى صوت ساحر جاى على وش الميه.. صوت يمامه بتغنى وهما يردوا عليها:

هى: ياجميل له ودا قمحك اللى بدرته

هما: ياجميل له ودا قمحك اللى بدرته

هى: يا جميل له والبنت قالت لأبوها

ما اختشيت منه توب الحيا يابا داب

والنهد بان منه

وإن كنت عايز تصون

العرض وتلمه

ماتجوز البنت للى

عينها منه

ودا قمحك اللى بدرته

هما: ياجميل له ودا قمحك اللى بدرته

مشيت ع الصوت لغايه ما وصلت الأنفار قلت للخولى:

- أنا فؤاد أبو عزت.

قال لى:

- إتدلى التربيعه مع الأنفار يابن (....).

بلعت الإهانه لأنى كنت عايز أشوف صاحبة الصوت اللى جرجرنى من العريشه لغاية ما جابنى هنا.. نزلت التربيعه وبدأت أمشى مع الصف وفجأه بدأ الغنا:

ع الزراعيه

وأنا رحت أقابل حبيبى

ع الزراعيه

وأنا خدت بختى ونصيبى

أهْ.. جوز عيون بقرى فيهم الليل والنهار.. وفيهم ابتسامة حنان تطرد الغضب وتجلبَ الرضا والفرح.. حسيت إنها بتقصدنى بعبارة وأنا خدت بختى ونصيبى واتأكدت لما عادت الغنا م الأول وهى بتبص لى وتبتسم الابتسامه اللى تدوب وتموت وتحيى.. كان اسمها هنومه أم اسماعين.. ولقيت نفسى باقول بأحلا صوت إداهونى ربنا:

ساعه سعيده

سعى قدمى

وراح ليكم

إنتو الحبايب

وشرب الراح

راح ليكم

راحت هنومه مزغرطه والبنات وراها راحوا الولاد قايلين هييه.. يدوم الحماس يابو عزت وفجأه دب النشاط فى الأنفار لدرجه إننا خلصنا المقطوعيه قبل معادها بساعه وربع ودا كان معناه إنى نجحت فى الاختبار بدرجه امتياز.

●●●

طاب لى الزمان واستطاب واحلوت الأيام ولا ابتسامة متيم جاد لهالحبيب بالوصال.. الصبح أصحى مشتاق لشقا الغيط والغنا والضهر أفرح بالتقييله تحت

ضل الشجر ولعب الباط وآخر النهار أبقى متلهف ع المرواح وحضن أمى الدافى والعشا كانت أى حاجه بتعملها بيبقى لها طعم جميل.. لو حتى حتة جبنه قريش بالزيت والطماطم وكانت وهى بتحط لى الأكل تحسسنى برجولتى وترضى غرورى وأبقى قاعد نافش ريشى زى الديك الرومى! وبعد العشا كنت أطير ع الرمليه عشان يكون لى شرف الندا اللى كنا بنلم بيه العيال:

طق المغزل

تانى تانى

يا حلاوه

بين أسنانى

يا محلا قوله هييه

يروحوا العيال اللى لسه قاعدين ع الطبالى مجاوبين:

– هييه.

وبعد ما نتلم فى الرمليه أوالعلوايه نحدد اللعب حسب الأحوال الجويه.. لو الليله قمر نلعب الحكشه أو الباط أو السيجه أو كورة القدم خصوصًا إذا كان موجود حد من الطلبه وعنده كوره كفر نمره خمسه ولو الليله ضلمه نلعب حراميه الدور أو الطاقيه فى العب وآه من ليالى رمضان وسحرها فى عزبه أبو نجم.

كانوا المتيسرين يسهروا مقرئين ومنشدين طول الشهر الكريم.. وكانت عزبتنا واحد وعشرين بيت بيسهر فيها عشره منها فى المتوسط كانوا بيخلوا العزبة زى عش العصافير.. قبل المغرب يطلعوا ع الأسطح يقولوا التراتيل الجميله لغايه موعد الأدان وبعدين يأدنوا وبعد الفطار يروحوا ع الجامع يصلوا المغرب والعشا والتراويح فى مهرجان من النغم الساحر وبعدين كل واحد يروح ع البيت اللى هو سهران فيه يقرا لغاية قبل موعد السحور يروحوا طالعين ع الأسطح تانى وينشدوا الأدعيه والتراتيل الجميله وبعد السحور يطلعوا ع الجامع يصلوا الفجر ويروحوا يناموا ويرجعوا الجامع فى صلاه العصر وبعد الصلا يملوا الجامع نغم ساحر مضاف لحلاوه القرآن وجلاله

وكانت المنافسه بينهم بتكون دايمًا فى صالح المستمعين.

وكان فـقى العمده هو عمـدة الفقهـا عن جداره.. كان اسمـه الشيخ إمام محـمد طه.. وكـان من بلبيس.. كـان منشد عظـيم وكان بالإضـافه إلى قـراءه القرآن بيـغنى الموشحـات الجميله وكان بيـأديها باقتدار وكـان بيمسك الإيقـاع بالسبحه والعـصايه وكان دايمًا يختار قـصائد المنشد العظيم الشيخ على محمـود أو بعض أغانى أم كلثوم اللى لحنها الشيخ زكريا أحمد.

الراجل ده أنا كنت باعشقـه وكنت دايمًا لازق له وكان هو سعيـد بكده رغم صغر سنى وتفاهه شـأنى.. وكان ده أول صـوت موسيـقى يدخل من سمـعى إلى وجدانى ويشبـعنى بالمتـعه الروحـيه اللى حـددت نوع الثقافـه الفنيـه اللى حصلتـها بعـد كده باختيارى واجتهادى الشخصى.

وكان فيه الشيخ سلامه اللى كان أبويا سـليم بيسهره كل رمضان وكان إلى جانب قراءة القرآن عازف عـود جميل وذات ليله كان الشيخ إمام مسـافر رحت سهرت مع الشيخ سلامه.. وليلـتها لحسن حظى عزف الشيخ سلامـه على العود وغنى موال لك يا زمان العجـب.. والحقيقه إنه أبدع لدرجـة إنى عملت مقارنه بينه وبـين الشيخ إمام ولأنى كنت متحيز للشيخ إمام قلت لنفسى:

- لازم نطلع العود والسبحه والعصايه ونقارن بين الصوتين.

فى هذه اللحظه بدأ الشـيخ سلامـه يغنى شبيكـى لبيكى عبـد وملك إديكى..وأنا رأيى إنها من أرق وألطف ما كتب البديع عمنا العظيم بديع خيرى:

أنا اراهن بعنيَّا

ومؤكد كسبانه

فى الأصل إنتى حوريه

م الجنه وهربانه

سهيتى رضوان

وفتحتى الفردوس

مين قال دول أجفان

دا النبل

ودا القوس

يا حواجبك يا عنيكى

شبيكى.. لبيكى

فيه أحلى ولا أرق من كده؟.. الله يرحمك يا عم بديع.

العيال كبـرت وكبر جواها الإحساس بالظلم والتفاوت الاجـتماعى اللى مالوش أى تبـرير مقنع.. وبـدأ كلام أبويا على الشـمـروخ يتحـول من نوادر تثير الضـحك والسخـريه إلى دروس تثير التسـاؤل؟.. وبدأ عبد الجـليل لاقرع.. يتحـول من بطل أسطورى خارق إلى نموذج ممكن تكراره.

وفى ذات ليله مظلمـه فوجئ الجالسـون أمام دكان أبوعبـد الله على ضى الكلوب بسـيل من الرصاص حطم الكلـوب وأثار الذعر لدرجـه إن أحد الخـفراء النظامـيين مسك الـبندقيـه بالمقلوب وكان هيـضرب نفـسه.. وبعـد الليله دى بدأت سلسله من السطو على بيوت وحقول الأغنياء وأولهم سراية العمده ذات نفسه.

واضطر أبو عبـد الله – أبوالبنات – إنه يحتـمى بأحمد أبـوهنداوى ونجم أخويا.. كل ليله يسهروا معاه يتعشوا ويحششوا وأحيانًا يشربوا الروم والنبيت.

وكان بيشـيل فلوسه فى مكتب بخمس أدراج رزم مأسـتكه وعلى كل رزمه ورقه مكتوب عليـها قيمه المبلغ ولما كان يسحب أى مبلغ من أى رزمـه ينزله ويطرحه من أصل المبلغ ويكتب الباقى.

وفطن حـماة الحمى للـعمليه فـبقى واحـد منهم يدعى إنه محصور ويقـوم بفك حصـر فيدخل ع الأوضه الـلى فيها المكتـب ويسحب مبلغ ويطرحـه ويكتب حاصل الطرح ع الورقه ويظهـر إنهم سحبوا بافـترا لدرجه إن أبو عبد الله هـرش فبدأ يراجع

عمليـات الطرح اكتشف إن دا مش خطه يـعمل إيه؟.. إذا واجهـهم ماعندوش دليل ضـدهم وعليـه بعد كـده إنه يتـحـمل نتيـجـه اتهـامهم بـالباطل.. وإذا سكـت بيتـه حـيخـرب.. وهداه تفكيره إلى طـريقه جـهنميـه تلخـصت فى إنه سقـاهم ذات ليله كميات مهوله من الخمره والحشيش ولما تصور إنهم فقدوا وعيهم سألهم:

- قوللى ياسى محمد إنت وسى نجم.

قالوا له:

- خير يابو عبد الله؟

قال لهم:

- هو الفار بياكل الفلوس؟

وكأنه رمى حبل النجاه فردوا فى نفس واحد:

- طبعًا.. الفار بياكل الفلوس.

قال لهم:

- آمنت بالله.. لكن الفار بـيكتب؟.. يعنى الفلوس اللى بياكلهـا بينزلها من أصل المبلغ؟

ورد عليه أحمد أبو هنداوى بمنتهى الهدوء:

- أمال.. مش الفيران بنى آدمين زينا وفيهم فيران متعلمه.

وقلع أبو عبد الله البُلغه وقعد يضرب نفسه على دماغه لحد ما أغمى عليه.

اتغيرت الخريطه السكانيه فى البلده لعده أسباب.

أولاً: دخول عنصـر جديد على الخلطه البشريه الموجـوده على أرض عزبه أبو نجم وزمامـاتها.. كان عنصر أوروباوى قـوامه الأسرى الألمان اللى هربوا من مـعسكرات الإنجليـز حتى بعـد نهايه الحـرب واحتـمـال عودتهم للوطن.. والحـقيـقه إن العـزب والكفـور والبلاد المحـيطه بمعسكرات الإنجـليز فـتحت أحـضانهـا وقلوبها للأسـرى الهربانين واستقبلتهم بكل حب وكرم المصريين وكراهيتهم للإنجليز لدرجه إن أغلبهم

أشهر إسلامه واتجوز وعاش واندمج فى حياه الريف المصرى.

كـان نصيب عـزيتنا من العنصـر الأوروبى تلاته اتنين ألمان وواحـد طليـانى لتنين الألمان اللى همـا بوبى وهانتز اشـتغلوا فى أرض أبويا عـثمـان وأثبتوا إنهـم فلاحين إيديهم خضرا وكانت الناس بتروح تتفرج على زراعـتهم وتستعجب أما التالت اللى هو باولوا الطليانى فطلع صـايع لأنه مارضيش يشتغل فـى أى مكان قريب من سراية العمده ونزل عـزبة التمانين اللى تبعد عن عـزبتنا حوالى أربعه كيلومتـر واشتغل عند واحد فلاح اتجوز بنته بعـد ما أشهر إسلامه وسمى نفسـه محمد المهدى.. وإيه رأيك إن باولو ده طلع هو الوحـيد اللى بيـفهم لأن أول خلاف حـصل بين العمـده وأخوه الكبير عـثمان كان ضحيـته بوبى وهانتز والغريب إن اللى بلغ عنهم هو أبويا عـثمان ذات نفسه قـبل العمده ما يسبـقه وجم لنجليز والبوليس المصـرى خدوهم فى الحديد بعد ما ضاعت توسلاتهم للظابط المصرى فى الهوا.

ماكانوش عـاوزين يرجعوا بلادهم وبقوا يعيطوا زى الأطفـال واحنا واقفين نعيط على عياطهم وقال بوبى لفيصل أفندى الظابط المصرى:

- أنا موش بوبى.. أنا مهمود.. أنا موش ألمانى أنا مسلمان.

راحت بهيـه أم على راقعه بالصوت راحـوا كل النسوان مصوتين وراحـوا الغفرا نازلين فينا ضرب بالخزران رحنا جارين وقعدنا نضرب فيهم بالطوب راحوا راجعين جرى احتموا فى عربيه لنجليز يقوم يشاء السميع العليم إن بوبى هو اللى يتعور ودمه يسيح راح عايص إيده دم وطابعها على صندوق البوسته وبعد كده كان أحمد أبونجم الغفيـر بيحلف بالطلاق إنه كل ليله بيشوف عفـريت بوبى مطلع دماغه من صندوق البوسته وبيقول:

- أنا موش بوبى.. أنا مهمود.. أنا موش ألمانى.. أنا مسلمان.

●●●

مرت الأيام هنيه بكل ما فيها من متاعب وفقر وجوع وشقا.. ليه بقى؟

لأنى كنت راضى بمجرد وجودى فى البلد.. ومادام ده اخـتيارى فكان لازم أتحمل

مسئوليته بمنتهى السعاده.

كان آخر مشهد مهم شفته فى البلد هو مشهد سعيد المجنون ابن خالتى منيره وهو واقف على طريق المعاهده تانى بر الحلوه وبيهتف لمجموعه من سيارات اللورى التابعه للجيش المصرى محمله بالجنود والعتاد ومتجهه ناحيه الإسماعيليه:

- إلى سحق الصهيونيه أيها الأبطال.

ماهانش علىَّ أسيبه واقف ع البر التانى يهتف لوحده رحت قالع الجلابيه ومعدى الحلوه عايم وطلعت ع البر التانى وانضميت له من غير مايأخد باله وفوجئ بى باهتف معاه وأنا واقف ملط:

- إلى سحق الصهيونيه أيها الأبطال.

بص لى وضحك وقال لى:

- تعالى جنبى هنا يا بطل.

فقربت منه وإذا بيه يرزعنى قلمين طيروا الشرار من عنيه وقال لى:

- إمشى البس هدومك وتعالى اهتف للأبطال.

كلت القلمين ورجعت غديت الحلوه وأول ما وصلت البر التانى زعقت عليه:

- يا سعيد يا مجنون.. والله ما أنا هاتف معاك خليك زى الكلب لوحدك.

قال لى:

- كده.. طيب وحياة أمك هانم.. لو إيدى مسكتك لأركبك العفاريت.

وساب الهتاف وقعد يضربنى بالطوب من البر التانى وأنا أرد عليه بالطوب وأشخر له!

●●●

فوجئنا ذات عصريه بحضور محمد أخويا فى أبهى صوره رأيته عليها طول عمرى.. البدله الشركسكين البيضا والجزمه الشمواه وكانت أول مره فى حياتى

أشوف الشرابات التايلون وراشق منديل حرير أحـمر فى جيب الصدر.. وراح معكْمْ أمى مبلغ شديد الشأن حاولت أحدده لكن ما أمكنش وبعد ما هزأنى شويه قال لَنا إن ربنا فتح عليه نتيـجة دعا أمه وبيشتغل دلـوقتى عند الانجليز وبيلعب بالفلوس لعب.. وقعد يعايرنى بخيبتى ويتنبأ لى بمستقبل مظلم نتيجـه غضب أمى علىَّ.. وبعدين قال لى:

– أنا سايب فلوس مع نينه عشان تشترى لك شويه لبس وتجيبنى ع العنوان اللى ح اسيبهولك ودى آخر فرصه ح اديهالك.. بس إياك تنفع بقى.

■ ■ ■